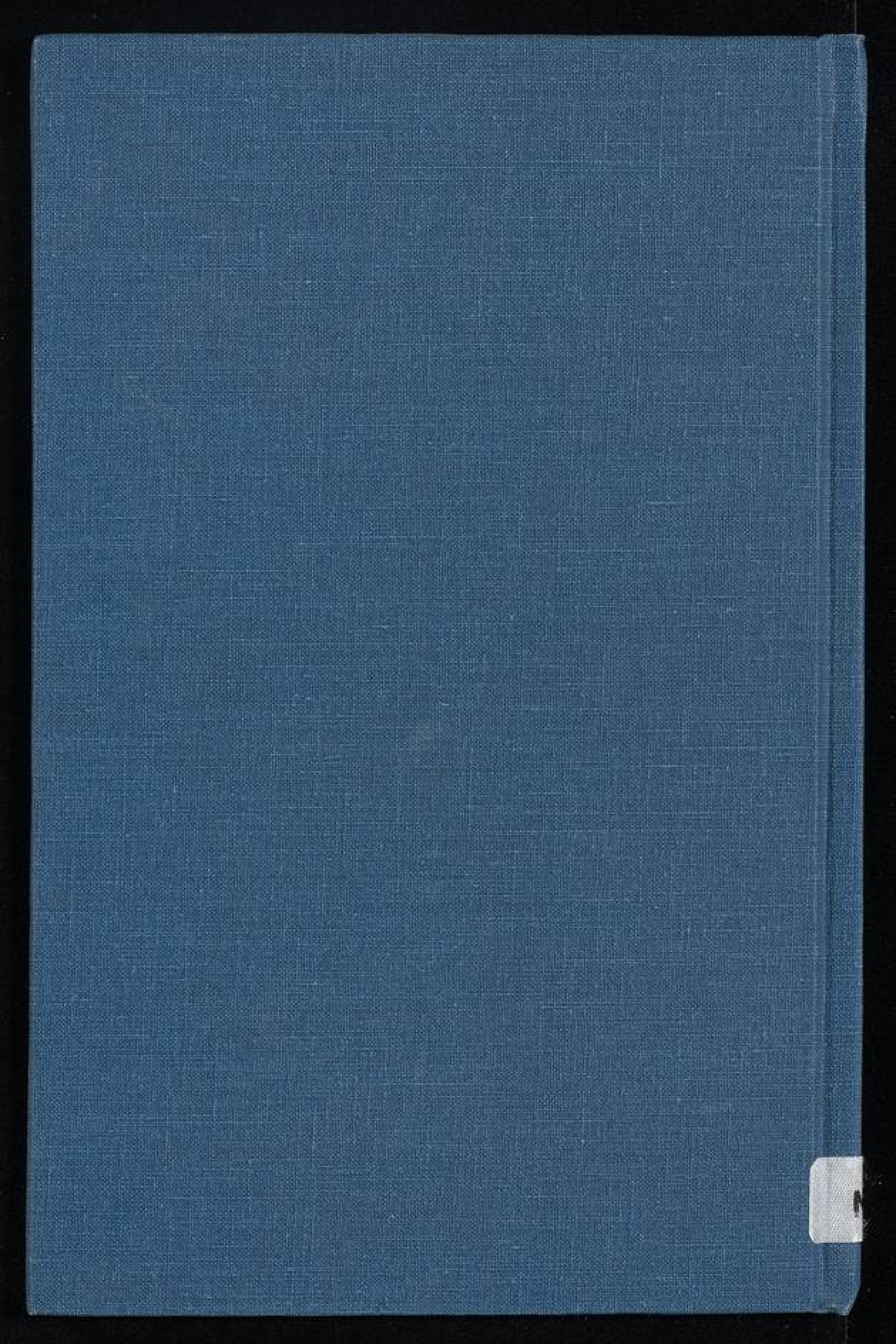


كتاب

ميزان الحق

في المنطق

تأليف

شهيد الوطن

قائم مقام اركان الحرب

المرحوم

محمد سليم الجزائري الحسني

الطبعة الاولى

ثمن النسخة عشرة قروش مصرية

طبع في المطبعة الحربية بدمشق عام ١٣٣٨ هـ — ١٩٢٠ م

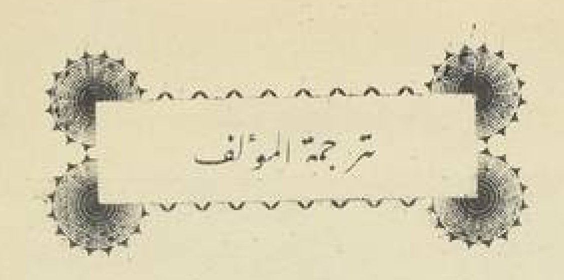






شهيد الوطن

المرحوم محمد سليم بك الجزائري الحسني



ترجمة المؤلف

ولد المرحوم سليم بك ابن المرحوم السيد محمد سعيد الجزائري في مدينة دمشق سنة ١٢٩٦ ونشأ في بيت شرف وتدين وعلم وعقل فكان منشأوه الطاهر من اعظم الاسباب على ظهور ذكائه ونبوغه منذ نعومة اظفاره . وقد عني عمه علامة العرب والاسلام الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري بتربيته فجاء منه رجل استوفى صفات الرجولية بالتربية والدرس علماً وعملاً . وبعد ان اتم دروسه في مدرسة الجقمقية وشدا مبـادئ العلوم سما به الميل الى الجندية فدخل المدرسة الرشدية العسكرية ثم المدرسة الاعدادية العسكرية في دمشق فالمدرسة الحربية فمدرسة الهندسة البرية في الاستانة وكان المقدم بين اقرانه مدة الدراسة وتخرج بالعرب والترك وتلقن الشريعة والعلوم العسكرية فجمع في صدره معرفة القديم والحديث حتى كان من يجتمع اليه قبيل انجاز دروسه المدرسية وبعدها يتمثل فيه رجلاً جمع الى قوة الارادة والحزم والجهر بقول الحق علماً عملياً نظرياً ناضجاً فكان مثال التربية الشرقية العربية مدعومة بكل ما يقتضي لعالم شرقي أخذ من علوم الغرب وآدابه . وكان من أخلاقه الجد أوقات الجد والدعابة اللطيفة في اوقات الفراغ بحيث يتراءى للمختلف

اليه في اوقات عمله انه خلق للعلم والعمل لايطيب له غيرهما ومن رآه ساعات
راحته يسجل بأنه رجل لا يعرف غير الفكاهة وايراد النكات واللطائف .
ومنذ ظهرت آثار نبوغه لم يبرح يفكر ويعمل لخير الأمة الاسلامية ويبكي
لجهلها وانحطاط حكوماتها ويسلك الطرق الموصلة الى اصلاح اجتماعياتهما
وتقوية معنوياتها ومادياتها فكان في المدرسة ايام الدراسة وفي الثكنة ايام
التعليم مصلحاً يتفانى في انهاض العرب من كبوتهم والعمل لكل ما فيه سعادتهم .
لا يكاد يجتمع به انسان الا يؤثر فيه بحسب استعداده الشخصي ولو اثراً يفيده
في خطته وقد رقي في الجندية العثمانية الى رتبة قائممقام اركان حرب فاعجب
نبوغه كل من عرفه ولولا نزعته العربية التي كان بعض غلاة القومية التركية
ينقمونها عليه لنال ارقى منصب في الجيش لأن كثيرين ممن تخرجوا به من
الضباط في المدرسة الحربية ايام كان مدرساً فيها للفنون الحربية قد تخطوه
في الرتبة . وله رسائل ومقالات كثيرة واناشيد شعرية عربية مبتكرة كان
يستمليها منه بعض شبان العرب وينشرونها بأسمائهم في صحف الشام ومصر .
حتى اذا انتشرت الحرب العامة وجد غلاة جمعية الاتحاد والترقي ان الفرصة
قد حانت للقضاء عَلَى رجل ربما كان منه الخطر عَلَى حياتهم القومية بزعمهم
فساقوه الى الديوان العرفي في عالية بلبنان وحاكموه محاكمة صورية وحكموا
عليه بالاعدام فأعدم في مدينة بيروت صلباً صباح الاحد ٤ رجب سنة ١٣٣٤
(٦ أيار سنة ١٩١٦) وبقي الى آخر ساعة من حياته وهو موقن بالهلاك ثابتاً
عَلَى مبادئه الطاهرة فذهب وعيون الأمة العربية تبكي نابغتها وشهيدها الذي
أطفئت شعلة حياته قبل ان يتم الأربعين من عمره وفقدت به عضواً نافعاً
وقف نفسه عَلَى إخلاص الخدمة لها مدفوعاً بعامل التربية الصحيحة .

وهاك تعريب ما كتبه رحمه الله عن نفسه باللغة التركية في ترجمة حياته في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٣٣٠ ش فهو الغناء في هذا الباب :

انا حافي الرجلين مكشوف الرأس طولي متر وثمانية وستون سنتيمتراً ووزني عارياً ستون كيلو اصلي جزائري قضيت حياتي في الأصقاع المعتدلة والحارة ولذلك يصعب عليّ العيش في الأقاليم الباردة . خلقت حساساً للغاية وذا مزاج عصبي ولكن جسمي يتحمل انواع الشقاء ولم اتأهل حتى الآن ولله الحمد . اخذت الفقه والتفسير عن مشاهير العلماء وملت الى الجد والكتمان مستقل الارادة احب الابتكار واكره التقليد . ارى وظيفتي وشرفي توأمين متلازمين . ومتى تلقيت امراً انفذه ومتى اصدرت امراً اريد تنفيذه وتطبيقه كذلك . واحمد الله عَلَى ان احسن منشأي في بيتي . واختلطت بأهل الطبقات المختلفة في الشرق والغرب فحصلت لي أنسة بالآداب الشرقية والغربية وثقفت قوانين الدولة ثقافة لا بأس بها فعمدت الى تطبيق اعمالي عليها عَلَى شرط ان تكون موافقة للمصلحة الاسلامية . جبلت عَلَى الطاعة والانقياد لروح الجماعة . كسوتي بقدر طاقتي نظيفة واملك من حطام العالم ما يخرجني من عهدة الفقر . لم اقامر حياتي ولم آلف الدنايا ولا بحثت فيها . اخذت العلوم العربية وعلم الكلام والملل والنحل عن عمي الشيخ طاهر الجزائري وعن جماعة من علماء الشام منهم العلامة الأستاذ سليم افندي البخاري وخرجت من المدارس العسكرية ومن دار الهندسة البرية السلطانية اركان حرب استحكام كنت ابداً الأول في صفوفي ثم اتممت دروسي في المدرسة الحربية وكان لي اختصاص بالرياضيات وانا في المدرسة ولي ولوع البحث عن ترقي العلوم العصرية ومن اجل هذا اقتنيت خزانة كتب ثمينة في الجملة . ليس لي تآليف

مطبوعة وقد الفت بالعربية وبالتركية سنة ١٣٢٢ كتاباً في المنطق خرجت فيه عن الأصول التي سار عليها ارسطو في المنطق وابدات الطريقة القديمة فيه وانا ارقب الزمن الموافق لنشره . وقد اخترعت فرجاراً لطيفاً يحمل في الجيب لرسم الخطوط المستقيمة والمتوازية والدوائر ورسم القطوع الناقصة والزائدة والمكافية بنسب مختلفة بين محورها وعملت من هذا الفرجار نموذجات مختلفة حاولت استحصال امتياز به في اوربا وقاوات الدائرة السادسة في الاستانة لهذا الغرض فحالت الحرب العامة دون نيل الامنية

احسن من اللغات الشرقية العربية والتركية ولسان الزواوة من اللغات الافريقية كما احسن الفارسية واكتب واقرأ باللغة الافرنسية وقد شدوت شيئاً من اللغات الألمانية والانكليزية والأرمنية والرومية يمكنني من فهمها بالجملة

ولما كنت استاذاً في المدرسة الحربية اتممت تعلم الرماية وتعليمها (اي انه كان اخصائياً في الرجالة والمدفعية والفرسان) واحسن الرماية بالمسدس وولعت منذ نشأتي بالجندية وخضت نيران الحروب مرات فلم اجبن ولم تخر عزائمي واخذت اسيراً في اليمن فنجوت من مخالب من كان يريد ذبحي بفضل اعتدال دمي وانقذت حياتي وحياة رفاقي من الاسرى . وانا احسن الخدمة في دوائر التجنيد كل الاحسان وقد درّست سنة ١٣٢٤ علوم التعبية والمصافات وسوق الجيش في المدرسة الحربية في دمشق والأستانة وتخرج بي ثلاثة صفوف تشبعوا بأفكاري اذ كنت انظر اليهم نظر الأب لأبنائه الا انني عرفت بدلالتهم على نقصهم وجزائهم على خطيئاتهم . وكل مايوافق الدين والدولة من الانظمة اطبق مفاصله للحال واتعهد بتبعته . حضرت

مواقف الحرب في البلقان وعملت هناك اعمالاً معروفة وبعد الحرب البلقانية عينت في الشعبة الثانية من أركان الحربية العامة ثم اصبحت رئيس اركان الحرب في الفرقة التاسعة في جنق قلعة وفي خلال الحرب العامة قائداً للواء السابع عشر ثم الثامن عشر في ادرنه وقرق كليسا وانا اليوم قائد منطقة سوكه وحواليها لم ادخل حياتي ديوان الحرب للمحاكمة ولم اجاز على عمل ارتكبته في وظيفتي

هذا وقد اسس الفقيد اجزل الله ثوابه من الجمعيات جمعية فتيان العرب وهو في المدرسة والجمعية القحطانية وجمعية العهد وافكاره واناشيده لا تزال دائرة على السن الوطنيين من العرب في ديار الشام والعراق وكان ينظم الشعر الحسن باللغتين العربية والتركية ويكتب ويخطب فيهما كتابة خيرة المنشئين والمتأدبين



مقدّمة

لقد اشتهر بين مؤلفي العرب ان واضع علم المنطق ومبتدعه هو ارسطالس وانه لم يجد لمن تقدمه غير كتاب المقولات وانه انتبه الى وضعه وترتيبه من مطالعته في كتاب اقليدس في الهندسة وقد قسمه علَى تسعة ابواب جعل لكل منها كتاباً ترجمت كلها في زمن ابي جعفر المنصور ولخصت مراراً وحذا جميع مؤلفي العرب حذوها علَى ان منهم من توسط ومنهم من بسط الا ان معظمهم جمعها مع الالهيات والطبيعيات ولكن كلها ترجع الى نبع واحد وترتيب واحد يدور البحث فيها علَى الالفاظ ودلالاتها والحدود وانواعها وصور القضايا وكيفية ترتيبها واقسامها وفروعها واشكال الاقيسة وانواعها واسمائها المختلفة والشروط التي يجب تحريها في صور القضايا وانواع ضروبها المنتجة وغير ذلك . وانك لترى المتصدي لمطالعتها لا يفتأ يشحذ فكره في فهم الاقسام والانواع ويتعب ذهنه في ضبطها وحفظ اسمائها حتى يبتلي دماغه ويمل او يستولي عليه الذهول فيضيع بين الاقسام وتختلط عليه الانواع والتعاريف بحيث لا يعرف لنفسه مخرجاً . وان اسعفه الحظ بعد طول الصبر والمعاناة لاتمامه يصبح متعلماً علماً آلياً يختص بالالفاظ وانواعها وصور القضايا واسمائها واشكال الاقيسة واقسامها هذا ان امكنه التوسع من تلقاء نفسه او قيض له مرشد يدربه في تعميم القواعد علَى امثلة مختلفة وتطبيقها على المحاورات التي لا يخلو الانسان منها كل يوم اذ ان اكثر المؤلفين لهم امثلة محدودة لم يحيدوا عنها هذا عدا عن ان اكثرها غير صحيح بحيث اذا الفها المتعلم

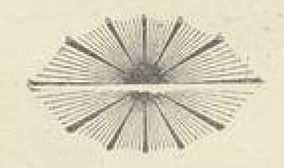
رسخت في ذهنه كأنها قاعدة أولية أساسية فيدخل عليه بسببها كثير من الأغلاط . ولا يخفى أن الانسان عند البحث والمناقشة قد لا ينتبه الى شكل العبارات لاشتغال ذهنه بالمعاني ولهذا لا يفيده في أغلب الأحيان ما تعلمه من القواعد الخاصة بصور العبارات خصوصاً اذا كان الموضوع دقيقاً أو تداخلت الأقيسة وتسلسلت بل كان اللازم له دليلاً يهديه الى تمييز الصدق من الكذب بدون التفات الى شكل العبارة

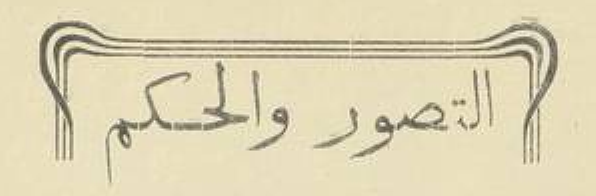
فأحببت أن أكتب ما تيسر لي بعد تتبع وتفكر طويل اجابة لطلب بعض عشاق العلم وناصريه وطلاب الحق وقاصديه . فان أفدت أحداً فيما كتبت فتلك الغاية التي أرمي اليها والا فعلى الأقل أكون قد نبهت الأفكار للزوم اصلاح هذا الفن المهم عسى أن يتوفق الى ذلك من هو أوسع اطلاعاً وتفكراً مني

سنة ٤ المحرم سنة ١٣٢٥

قول أغاسي من أركان حرب الفيلق الخامس التركي

محمد سليم الجزائري الحسني





التصور والحكم

كل من امعن النظر واعمل الفكر قليلاً علم ان للانسان احساسين احدهما (ظاهري) وهو الذي يحصل لنا بسبب تأثير الاشياء الخارجية في اعضاء الحواس والآخر (باطني) وهو تفكرنا الخاص في المحسوسات التي تاتي لنا بواسطة الاحساس الاول فهو احساس الاحساس .

وآلات الاحساس الظاهري هي الاعضاء الظاهرة الخاصة بالبصر والسمع والذوق والشم واللمس وكيفية ذلك هو ان بين هذه الاعضاء والدماغ اعصاباً دقيقة شعرية تصل كلاً منها بالدماغ فاذا تأثر طرف هذه الاعصاب الخارجي بالاشياء المحسوسة وصل هذا التأثير الى الطرف الباطني وبه يتأثر الجزء المخصوص لتلك الحاسة من الدماغ . وهذا التأثر يكون عَلَى حسب استعداد ذلك الجزء وكيفيته اذ انه يختلف باختلاف الاشخاص وعنه نشأ كون بعضهم ذكياً والآخر غبياً او سريع الحفظ او بطيئه وغير ذلك .

وحين وصول التأثر الى الدماغ نشعر بالاشياء وندركها وهذا هو الذي سميناه احساساً ظاهرياً . وينطبع هذا الاثر ويبقى مدة قليلة او كثيرة عَلَى حسب قابلية الجزء المختص به من الدماغ وهذا ما يسمى حافظة .

وآلات الاحساس الباطني هي هذه الحافظة اذ هي التي تمثل في الذهن صورة الشيء الذي كنا ادركناه اولاً ثم نسيناه وتوقظ فينا عين التأثر الذي كان قد حصل لنا منه من انبساط او انقباض سواء كان منظوراً او مسموعاً

او غير ذلك · وهذا التصور هو ما سميناه تصوراً باطنياً او تصوراً بالواسطة · وقد يسمى ايضا (تخيلاً) او (وهماً) بحسب قوة التصور او ضعفه وسلامته او اختلاطه بغيره · وعلى كل حال فان جميع ما نتصوره راجع الى التصورات الظاهرية وهي راجعة الى ذات الشيء المحسوس الموجود ·

ولا يخفى ان في امكاننا ان نستخرج من تصورات عديدة تصوراً واحداً مثل ان نتصور جناحي نسر ثم نتصور جسم فرس ثم قوائم غزال ثم رأس انسان ثم نجمع بينها جميعها فنتصور فرساً لها اجنحة نسر وقوائم غزال ووجه انسان وقد نضع له اسماً قياساً على المحسوسات الخارجية فندعوه مثلا بحصان الجو او غير ذلك · (وقد نتصور الشيء مبالغاً فيه عن اصله مثل ان نتصور غادةً طولها خمسون الف ذراع وعرضها مناسب لطولها وكالمردة التي يتصورها العامة او على العكس في القصر والصغر كتصوراتهم في الجن او يأجوج ومأجوج وغير ذلك)

ولنا طريق آخر في التصور وهو ما يسمى بالتجريد او (قطع النظر) وذلك ان نفتكر في الصورة المكتسبة او في بعضها من غير تفكر في موصوفها مثل ان نعد خمس تفاحات ثم نفتكر في العدد فقط بقطع النظر عن معدود ما · وانا نلاحظ النسب بين الاعداد ونتناقش في خواص الكسور وغيرها في علم الحساب على هذا الطريق اي بقطع النظر عن معدود خاص بعينه · ومثل ذلك اذا لاحظنا بلدتين ولاحظنا الطريق بينهما فقد نقطع النظر عن عرض الطريق وسائر احواله ولا نلاحظ الا طوله وامتداده فقط ثم نقطع النظر عن البلدة وعرضها وطولها ولا نلاحظها الا من حيث كونها مبدأ لذلك الطول وعلى هذا قال ارباب الهندسة ان الخط مجرد عن العرض والنقطة مجردة عن

الابعاد الثلاثة وعلى هذا الطريق ايضاً جروا في تصوراتهم في السطوح والاجسام عند النظر في خواصها ونسبها . وكما انا بطريق قطع النظر (التجريد) نخترع اشياء من التصورات المكتسبة فانا قد نخترع لها اسماً نسميها بها قياساً على الاشياء الحقيقية مثل الاوصاف كالحسن والقبح والالوان كالابيض والاحمر وبعض الحالات المشتركة العمومية كالموت فانها كلها من مدارك العقل واعتباراته وبطريق (التجريد) قطع النظر يتكلم عليها كالاشياء الحسية المحققة ويمكن استعمالها في مدلولات خاصة بالاضافة اليها وذلك على سبيل القياس والحمل مثل صلاح احمد وشقاء اسعد وحسن سلمى وبياض هند . وبعض هذه التصورات يسمى (وهمياً) كالالوان من حيث هي وكتصور الوجود والعدم والصدق والكذب . وقد نتصور شيئاً فيذكرنا بتصورات اخرى وهذه الاخيرة تسمى (تصورات تبعية)

ثم انا نحصر انتباهنا في اوصاف الشيء الخاصة به المميزة له عن غيره ونهمل ماعداها مما لانهتم به بالنظر الى الوجهة التي نقصدها فينتقش مجموع هذه الاوصاف في حافظتنا ويتألف منها تصور يكون مثالاً لذلك المتصور ومقياساً لنوعه وامثاله في تلك الوجهة المقصودة وهذا ما يسمى (بالتصور المثالي) مثل انا نأخذ من الفرس اوصافها التي تميزها عن النبات والجماد ككونها تحس وتحرك بارادتها ونترك غيرهما مما لها من الاوصاف فيحصل لها عندنا تصور ونسميه بهذا النظر حيواناً فيكون هذا التصور الذي حفظناه بحق الفرس بهذه الوجهة ، مثالاً عاماً كلما وجدناه انطبق على موجودٍ ما سميناه حيواناً فمثلاً لو رأينا شخصاً وقسناه بهذا المقياس المثالي وجدناه ينطبق عليه تماماً فنقول عنه بدون تردد انه حيوان

ولنزدك ايضاحاً: خذ الدينار مثلاً فانا نلاحظ شكله من حيث استدارته فقط ونحفظ عنه مقياساً للاستدارة اي نتصور الاستدارة فقط كما سبق في التجريد ونحفظ هذا الشكل المجرد ونطبقه عَلَى كل ما رأيناه فما وجدناه طابقه حكمنا باستدارته

ثم نزيد عَلَى وصف الاستدارة كونه معدنياً منقوشاً بطابع المملكة ونحفظ عنه مقياساً ونسميه بهذه الوجهة (سكة) وكل ما وجدناه طابق مقياسنا هذا قلنا عنه انه سكة .

ثم نزيد وصفاً آخر عليها فنلاحظ كونه اصفر ذهبياً ونحفظ عنه مقياساً نسميه (ديناراً) ونحكم عَلَى كل ما وجدناه مطابقاً له بانه دينار . وهلم جراً

ولينتبه الى انا كلما اقتصرنا عَلَى اوصاف قليلة واتخذنا المقياس صغيراً عم افراداً كثيرة وكلما زدنا في الاوصاف كبر المقياس وضاق علينا مجال انطباقه وقلت الافراد وانحصر ذلك الاسم باعداد قليلة بالنسبة لما قبله حتى انه قد ينتهي بنا الى عدد واحد فقط

وقد اصطلح عَلَى ان يسمى المقياس الكبير اي الاسم الذي يشمل افراداً كثيرة (بالجنس) والوصف الذي زيد عليه لاتخاذ المقياس الذي بعده واصغر منه يسمى (نوعاً) ثم (فصلاً) ثم (عرضاً عاماً) ثم (خاصة) وهذه الاسماء الخمسة دعيت بالكليات الخمس وان زاد عددها عَلَى ذلك قيل (الجنس البعيد) لما هي غاية في البعد ثم (الجنس القريب) ثم (النوع) ثم (الفصل البعيد) ثم (الفصل القريب) ثم (العرض العام) ثم (الخاصة)

ويحد الجنس عندالمناطقة بانه كلي مقول عَلَى كثيرين مختلفين بالحقائق

في جواب (ما هو ؟) ومنه قريب ومنه بعيد كما سبق واعمها يسمى جنس الاجناس . والجنس عند العامة يقال عَلَى المعنى الذي يشترك فيه كثيرون كالابوة والبلدية والاب والبلد

والنوع يحد بانه كلي مقول عَلَى كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة في جواب (ما هو ؟) واما النوع الاضافي فهو كل جنس بالنسبة الى الجنس الذي فوقه . والنوع عند العامة صورة كل شيء وخلقته

والفصل هو ما يميز الشيء عما يشاركه في جنسه اي هو صفة النوع المنحصرة في افراده وفصل النوع الاضافي بالنسبة الى النوع الحقيقي يسمى فصلاً بعيداً

والعرض العام هو كل صفة من اوصاف المطلوب التي تطلق عليه وعَلَى ما هو من حقيقة غير حقيقته كالتحرك بالارادة بالنسبة الى الانسان فانه يقال عليه وعَلَى غيره من الحيوانات

نكتة — بما ان المناطقة قيدوا وصف (متحرك) بشرط (بالارادة) سقط الذين حركاتهم وجميع اعمالهم تابعة لارادة الغير

والخاصة هي كل صفة تحصر في المطلوب ولا توجد الا في افراده ان كان له افراد كالضاحك بالطبع بالنسبة الى الانسان فانها منحصرة في افراده هذه هي اصطلاحات اهل المنطق وامثلتهم عليها : الحيوان جنس والانسان نوع والناطق فصل والبادي البشرة عرض عام والضاحك بالطبع خاصة

تبين لك من كل ما سبق ان كل تأثر لانفسنا له مدخل في ادراكنا وتخيلنا يسمى تصوراً وان التصور ان كان ظاهرياً فهو انتقاش صورة المادة المحسوسة او اثرها في الحافظة وان كان باطنياً فهو استحضار تلك الصورة في الذهن وان

كان بطريق التجريد فهو تصور تلك الصورة مع قطع النظر عن مادتها ...
وغير ذلك

وترى انها كلها ليس فيها حكم بشيء على تلك الصورة بل ارتسامها اواستحضارها وتخيلها فقط . كقولنا : كتاب ، طير ، سعيد ، علم ، موت ، دائرة ، مخروط ، موجود ، جسم ، حي ، حساس ، جاهل ، جميل

واما لو قلنا (ان عمر زنجي) فان قولنا هذا يشتمل عَلى تصورين مفردين احدهما عمر والآخر زنجي اذ انا تصورنا عمر ثم تصورنا ماتعني بزنجي وادركنا ان بينهما ارتباطاً واتحاداً فضممناهما وجعلناهما كشيء واحد . وكذلك لوقلنا هذا الموضوع جميل فانا نكون قد تصورنا هذا الموضوع وتصورنا ما نعني ونقصد هنا بالجمال فوجدنا ان بينهما ارتباطاً واتحاداً فضممنا هذين التصورين وجعلناهما كشيء واحد اشرنا عليه بقولنا هذا الموضوع جميل

وهذه الحركة العقلية تسمى (حكماً وتصديقاً) . وعَلى هذا فالحكم حركة العقل وادراكه كون الشيء موجوداً عَلى حالة من الحالات او مجرداً عنها . ولابد من ان يسبق ذلك تصور . اي ان الحكم فرع عن التصور

ولابد لكل حكم من تصورين الاول تصور المحكوم عليه ويسمى موضوع الحكم والثاني تصور المحكوم به ويسمى محمولاً ومقولاً وهناك شيء آخر وهو حركة العقل لجمعهما . وتسمى النسبة الحكمية والعبارة التي يؤدي بها الحكم تسمى (قضية) وموضوع الحكم موضوعها ومحموله محمولها وبينهما رابطة الاعراب او الضمير العائد من المحمول الى الموضوع وتلك الرابطة هي النسبة

والحكم قسمان ايجابي وهو اثباتك ادراك حقيقة كقولك العلم نافع

وسلبي وهو نفيك نقيض ما ادركته كقولك العلم ليس بضار

وللايجاب والسلب ادوات والفاظ خاصة وقد يستغني بها عن ذكر الحكم بأسره كقولك نعم اولا في جواب سؤال . وقد يستغنى عن هذه ايضاً ويكتفى بالاشارة باليد او بشيء . وقد يكتفى بمشاهدة حالات طبيعية مخصوصة في الحكم عَلَى امر ما كالحمرة على الخجل والصفرة عَلَى الوجل .

ولا يخفى ان كل حكم سلبي يتضمن ايجاباً . اذ سلب كيفيته عن شيء يدل عَلَى تحقيق عدمها فقولك زيد ليس بسارق يدل عَلَى تحقيق انتفاء وقوع السرقة منه . والحكم بالنظر الى وقوعها سلبي و بالنظر الى تحقق انتفائها عنه ايجابي

والحكم اما ان يكون (اولياً) اي ظاهراً واضحاً تطمئن له النفس وتصدقه و يحكم به العقل عقب تصوره كما في قولنا : الكل اعظم من جزئه و كقولك طرفا النقيض دائماً يكون احدهما صدقاً والآخر كذباً . او لا يمكن ادراكه مالم يدرك قبله اشياء اخر ويسمى مطلوباً و (مكتسباً) كما لو اردنا ان نعلم ان العدل اساس العمران . فنحتاج اولاً ان يحصل لنا التصديق بان العدل يبعث الناس عَلَى الاطمئنان عَلَى انفسهم واموالهم وان هذا الحال هو اساس البواعث الى الرفاه وان حب الرفاة يدعو الى جلب المال بالصناعات والزراعة والتجارة والى ترقية هذه الامور وتوسيعها وهو العمران وحينئذٍ نعلم ان العدل اساس العمران

ولا محالة ينتهي هذا التصديق الى تصديق اولي غير محتاج الى تصديق سابق . فالتصديق المطلوب لا يُحصل الا بتصديقات هو مرتبط بها فتسرد قبله . وكلما كانت هذه واضحة مقررة كان المطلوب اوضح واقرب الى

قلب السامع واطمئنت له نفسه بسرعة . ومهارة الخطباء والمدعين هنا في ادراك هذه التمهيدات وانتقاء اقواها وترتيبها على صورة توجب قناعة السامع بلزوم المطلوب وتوجد في نفسه لزومه وتصديقه ضرورة

ومثل ذلك التصور الذي هو اساس التصديقات والاحكام فانه اما ان يكون (اولياً) لايطلب بالبحث ولا يحتاج في تصوره الى تصور قبله كالمفردات المدركة بالحس مثل : كتاب ، جبل ، فرس ، وكبعض المعاني المركوزة في الذهن بتأثير الممارسة والالفة مثل : موجود وممكن وحي وميت . واما ان يدل اسمه على امر مجمل غير مفصل فيطلب تفصيله او على شيء مجهول لدى السامع فيطلب ايضاحه بالتعريف والحد الصحيح وهذا ايضاً يسمى مطلوباً و (مكتسباً) مثل تعريف الفيل لمن لايعرفه ولم يره وغيرذلك من المفردات . فانا نعرفها له بكلمات مدلولاتها اولية عنده وهو يضم ما تصوره عنها الى بعضه على الترتيب الذي سردناه له . وكلما زدناه شيئاً زاد في الفهم والطي الى ان يتم تصوير ما اردناه في ذهنه وكلما كانت المميزات له عن غيره واضحة تامة كان تصوره تاماً واقرب الى الحقيقة . والمهارة هنا في ايضاح المميزات وترتيبها وهذا يختلف باختلاف نباهة المعرف . على ان الانسان منطقي بالفطرة بما امتاز به من قوة العقل فبه يحد الشيء ويقسمه ويستدل عليه ويقايسه وينظمه الا ان اكثر الناس لا يعقلون ينظرون ولا يبصرون ويسمعون ولا يعون بل منهم من لايفقهون قيلا

الا ترى ان الخطباء والمدعين يختلفون كل الاختلاف في حسن الاداء ووضوح البيان . والسامعون يتفاوتون في قوة الانتباه ودقة الخاطر . وكثيراً ما تحصل اغلاط في التصوير والتصور وطلب التصديق وحصوله فلا يفرق

بين التصور التام والناقص عنه والتصديق اليقيني والقريب منه والشك وغالب الظن ولا يميز بين ما يعتقد من حق او باطل و بين ما يفعل من خير او شر و بين مايقال من صدق او كذب وقد قال بعضهم لكل انسان لسان ولكل لسان بيان وليس لكل لسان سنان ولا لكل بيان برهان وما كل ذي قلب بلبيب و كل انسان ذو نطق وما كل ذي نطق بأريب و كل انسان ذو عقل وما كل ذي عقل بعاقل

وقال ابو سليمان المنطقي في هذا المعنى : معارف الناس بالقول المجمل عَلَى التقريب تنقسم اصولها الى الظن والوهم والحدس والعقل واليقين والشك والغالب السابق والالهام والايجاس والخاطر والسانح واللائح ثم ان هذه كلها تتجاور مرة وتتلابس مرة وتتراءى مرة وتتوارى اخرى . ولن يخلص مطلب من المطالب ولا مذهب من المذاهب من شوب مثلها عَلَى قدر القلة والكثرة والضعف والقوة واللين والشدة عَلَى حسب المزاج والهيئة والخلط والطبيعة والمنشأ والعادة وعَلَى ما يجب الانسان من استبداده او تقليده . ولو خلص مظنونه من موهومه وتميز محسوسه من معقوله وانفصل معلومه من مجهوله وبان ملتمسه من هواه لكان لا يدخل الظن في العلم ولا يدب الحس في العقل ولا يتفشى العقل في الحس ولا يكدر الحق بالباطل ولا يصفو الباطل بالحق ولتوضحت الاشياء باعيانها ونقيت من ادرانها وزال شك الناظر في اثنائها ووقع عَلَى حقائقها وانبائها وعاد ثلج الصدر باليقين معمور النفس بالسكون غنياً عن تأليف القياس والبرهان وتصنيف فنون القول والبيان ولكن الانسان مضروب بالظن والحدس ومصنوع بالعقل والحس ومردود بين النقص والزيادة ومعرض في كل وقت للشقاوة والسعادة لا فكاك له من جميع ذلك مادام في مسكه

الطبيعي وعقله الجزئي وجهله الكلي اللهم الا ان يلبسه الله لباس الرحمة و يغشيه غشاء العصمة اه

ولهذا كان لابد للانسان من الارتياض عَلَى تمييز الحق من الباطل ٠ فابتدر علماء المنطق الى جمع ما وجدوه مناسباً لارشاد العقل وتدريبه من القواعد و بيان ترتيبها و كيفية العمل بمقتضاها لينجو بمراعاتها من لا يأمن عَلَى نفسه من الخطأ في محاجاته واقيسته واستنتاجاته و براهينه ٠ اذ انه محتاج الى ذلك كل يوم في اموره الكلية والجزئية وعَلَى كل حال فان ممارستها تكسب الانسان في قواه العقلية انتباهاً ونشاطاً يفيده في الذب عن الحق ودرء الشكوك ٠ وتزيده تمرناً ومقدرة عَلَى تمزيق ستائر الاوهام وتبديد غيوم التمويهات ٠ فيزهق الباطل « ان الباطل كان زهوقاً » وهذه القواعد هي الغرض في (علم المنطق) ٠ وقد سماه الامام الغزالي معيار العلم وقال (من لا معرفة له به لا ثقة بعلمه) ٠ وهو موضوعنا في هذه الرسالة

لقد علمت من المقدمة ان العلم اما (تصور) او (حكم) وان كلا منهما اما (اولى) او (مكتسب) . فمطلوبنا هنا هو المكتسب . الا انه لما كان يتوقف كما اسلفنا على الاوليات وجب ان نقدمها

المقالة الاولى

الاوليات

التصورات الاولية: هي كما سبق المفردات التي يعرفها المخاطب حق المعرفة فلا يحتاج الى ايضاح وتفصيل عليهـا نحو كتاب ، يد ، فم ، شبع ، موت ، حي ، مدور ، احمر

والتصديقات الاولية : هي الاحكام التي يصدق بها كل عاقل عقب تصورها ويحكم بصحتها وتطمئن لها نفسه ويقطع بانه لا يغير اعتقاده فيها شيء

ولا يتوقف في تجهيل مناقضها وتكذيبه والحكم بنقصان عقله

وهي وان كانت كذلك فان الاذهان تختلف في سرعة تصورها . ومنها ما لا ينتبه له اكثر الناس فيخالفونهـا بحيث لو نبهوا عادوا اليها اللهم ان كان العقل سالماً . ولنورد لك امثلة عليها :

١ — الضدان لا يجتمعان . فلا يمكن ان تكون دعوى في وقت واحد ومن وجه واحد صادقة وكاذبة معـاً . ولا يمكن ان يكون شيء موجوداً ومعدوماً في آن واحد

٢ — يجوز اطلاق الوصف العام على كل فرد من افراده على الانفراد مثل حكمك على سعيد بانه متفكر لعلمك بان الانسان متفكر . الا انه يجب عليك قبل الحكم ان تتحقق بان ذلك الشيء هو من جملة الافراد اذ قد تلتبس

الاشياء لدقة الفرق بينها وخفائه · مثل انك تعلم ان الجبن نافع فلو رأيت قطعة جبن لا تحكم عليها حالاً بالنفع مالم تتحقق وجود شرائط الجبن فيها · فان من شرائطه ان يصنع في اناء غير منجر والا فيكون ساماً قتالاً وكذلك بعض انواع العسل سامة لوجود مادة في الزهور التي احضر النحل ذلك العسل منها وغير ذلك ·

ولا شك ان الافراد غير الاجزاء فاذا حكم على الفرد بما حكم به على الكلي فلا يحكم دائماً على جزء الشيء بما حكم به عليه كله مثل انا نقول ان الانسان ناطق ولكن لانقول بان يده ناطقة او رجله · ونعلم ان (فلورور الصوديوم ملح الطعام) صالح الاكل ، ولكن لا نستنتج من ذلك ان (الفلور او الصوديوم) صالح الاكل · وايضاح ذلك : هو انا قد حكمنا في المثال الاول بالنطق على الانسان · فكل ما ساغ لنا ان نطلق عليه لفظ انسان نحكم عليه بالنطق تبعاً لحكمنا الاول ولما كانت يد الانسان او رجله وحدها لايطلق عليها لفظ انسان لم يجز لنا ان نحكم عليها بماحكمنا به عليه · وكذلك الامر في (الفلور) · فانه متى انفصل وحده فلا يقال له ملح الطعام ولهذا لايجوز ان يحكم عليه بماحكم به على الملح بالقياس والحمل بل ينبغي فحصه وتجربته واما لو رأينا قطعة صغيرة من ثمرة صالحة الاكل فانا نحكم بانها صالحة للاكل · لانها بصغرها لم تخرج عن كونها من ذلك الثمر ويجوز اطلاق اسم الثمر عليها بدون قيد · كما لو رأينا حزة من برتقالة فانا نقول البرتقال صالح للاكل وهذه برتقال ·

٣ — اذا انحصر وصف في جنس او نوع او صنف وجب نفيه عن غيره وذلك مثل انا نعلم ان جنس الفرس صاهل بطبعه وبعد التفتيش والتدقيق

وجدنا ان هذه الصفة انحصرت في هذا النوع ولم توجد في غيره فنحكم حينئذ بان الحمار ليس بصاهل بطبعه ولا الجمل ولا الطير . وكذلك كل من يعتقد انه لا يعلم الغيب الا الله يحكم بدون تردد ان الانسان لا يعلم الغيب لا العالم ولا الصحابي ولا النبي

٤ — ما حكم به عَلَى البعض لا يحكم به عَلَى الكل ولا عَلَى فرد معين ما لم يتحقق انه من ذلك البعض مثال ذلك لو قيل لنا ان التاريخ يقول ان اكثر حكام مصر كانوا ظالمين فلا يخولنا هذا الحكم ان نقول كان كل حاكم مصري ظالماً او ان نعين شخصاً ونقول مثلاً رعمسيس الحاكم كان ظالماً ما لم نحقق اولاً : انه كان من حكام مصر وثانياً انه كان من عداد الظالمين

٥ — لا يحكم بحكم كلي عام ما لم تستقرأ جميع الافراد فانك اذا رأيت خمسين هنديا كلهم علماء لا يخولك هذا ان تقول جميع اهل الهند علماء ما لم تفحصهم كلهم والا كان استقراؤك ناقصاً وحكمك باطلاً مردوداً ولو رأيت شامياً سرق لا تحكم بان جميع الشاميين سرقة او تركيا كذب فلا تحكم بان الاتراك كذبة ومثل هذا لو رأيت في كتاب بعض خرافات فلا تقل ان جميع ذلك الكتاب خرافات او لو تحققت ان بعض مؤلفي العرب قد خلطوا في كتبهم فلا تحكم بان جميع كتب العرب خلط وهذر وهذا لا يفعله الا ضعفاء العقول .

ولهذا لا يقبل برهان من يستدل عَلَى وجود الباري بدلالة الاثر عَلَى المؤثر اذ لو سئل عن كيفية ذلك لاجاب بانه رأى السفينة تدل عَلَى النجار والبناء عَلَى المعمار ولكن لو قيل له هل استقرأت جميع الموجودات ومن ذلك هذه الكرة الارضية والكواكب قبل حكمك هذا بقولك (لا بد لكل اثر من

موثر) ؟ لقال لا ! ومثل ذلك قولهم لابد لكل حادث من محدث وما اشبه ذلك . ولا خفاء أن التمسك بادلة كهذه لاثبات وجود الباريء مما يترك مجالاً لاعتراض المعترضين و يورث الشك في قلوب الضعفاء من المعتقدين ولهذا سلك المحققون طرقاً اخرى يعرفها من له اطلاع علَى كتبهم . و بمناسبة هذا الباب اذكر ما يروى من ان امرأةً رأت حجة الاسلام الامام الغزالي رضي الله عنه ماراً وخلفه جمع عظيم من العلماء الاعلام ومريديه الكرام فسألت عنه فقيل لها انه الامام الغزالي الذي اقام الف دليل علَى وجود الباريء تعالى جل شأنه . فقالت : والله لولم يكن عنده الف شك لما اقام الف دليل (كأنها تريد بان الاعتقاد بوجود الباري اصل اذ هو فطري في الانسان والانكار يطرأ علَى الذهن اخيراً فهو دعوى وعلَى المدعي البينة)

٦ — اذا اتفق وجود وصفين او اكثر في شيء او اتفق وجود خاصتين من الخواص او اكثر له فلا ينبغي اجتماعها دائماً . اي لا يحكم بوجود البواقي بمجرد وجود احداهن مثال ذلك اذا كنا نعلم ان الحديد اسود وصلب فلا ينبغي ان نقيس عليه كل ما وجدناه اسود ونحكم عليه بالصلابة

٧ — ما كل مستحسن ومألوف بحق ولا كل مستقبح ومنفور بباطل فرب افعال تستدعيها طيب المعاشرة او الحياء او رقة الطبع ويستحسن الانسان اتيانها علَى انه يعرف حق المعرفة انها غير حق ولا صواب وعلَى هذا ما ألفه الانسان من العادات والاخلاق والاصطلاحات والمذاهب والنحل فانك ترى كل حزب بما لديهم فرحون يقرّون ما يعتقدون ويستحسنون ما يفعلون ويردون ما ناقضه وعنه ينفرون مع ان الحق في واحد وخلافه باطل وان استحسنه اهله وألفوه

وكذلك يقال (ما كل عمل صدر عن نية حسنة حسناً) حتى قيل في الامثال عدو عاقل خير من صديق جاهل وقال الشاعر :

فعل الجميل ولم يكن من قصده فقبلته وقرنته بذنوبه

ولرب فعل جاءني من فاعل فحمدته وذممت من يأتي به

وقال آخر :

ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

وقال المعري :

لاتشكرن الذي يوليك عارفة حتى يكون لما اولاك معتمدا

وقال الرسول الصادق صلى الله عليه وآله في حديث شريف ذكره سيدنا الامام علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه في خطبة له (ان الله يحب العبد ويبغض عمله ويحب العمل ويبغض بدنه)

وكذلك يقال ما كل نافع حقاً ولا كل مضر باطلاً : فقد ينفع الكذب عَلَى الاطفال في ردعهم عما يضرهم عَلَى انه باطل وقد يتولد ضرر عن الصدق على انه حق وقد تنفع بعض الاديان الباطلة منتحليها في تهذيب اخلاقهم مع قيام الدليل عَلَى بطلانها

وكذا يقال ما كل نافع من وجه نافعاً من جميع الوجوه ولا كل مضر من وجه مضراً من جميع الوجوه . مثل انا نعلم ان السليماني سم قاتل فلا نقول انه مضر من كل الوجوه اذ انه نافع في مداواة الجروح وغيرها وكما لو وقع كتابيٌ في يد مجوس اسيراً وادعى انه مجوسي وتخلص بكذبه . فلا نقول ان الكذب ثائم

وخلاصة القول ان الاستحسان ليس ببرهان

٨ — انتفاء امر عن شيءٌ لا يوجب انتفاء امر آخر لا ارتباط له بالاول

ولا اثباته مثل ما اذا قيل لنا خالد ليس في بيروت . فهذا الحكم لايخولنا ان نحكم بانه ليس ايضاً في حلب ولا ان نحكم بانه في بغداد بل يبقى محل وجوده مجهولاً لدينا والذي نتعلمه من هذا الحكم هو انه في بلدة غير بيروت وكذلك لو قيل لنا لا مال عند ابراهيم فلا ينتج عنه انه لاعقل له ولا انه عاقل ولا نحكم بانه لاعلم له كما لانحكم بانه عالم . وكثيراً ما تحدث اغلاط في مثل هذا . مثل ان تقول لبعضهم فلان لا يعرف الشعر فيقول اذاً لا يعرف شيئاً

٩ — الالفاظ والاحكام التي لا ارتباط بينها لا تفيد الا معارف متقطعة ولا ينتج عنها شيء مثل : ع ب ، فسطان ، جمل . فان هذه الكلمات لا ارتباط بينها ولا تفيدك الا تصورات مفردة ولو جمعتها لن ينتج عنها شيء وكقولك توفي ارسطو في سنة كذا وسعر الخبز عندنا قرشان فان هاتين الجملتين لاتفيدانك سوى علمين ليس للواحد علاقة بالآخر ولا ينتج عن مجموعها ان البطيخ احمر او اصفر ولا ان الروس غلبوا في حربهم مع اليابان

وكذلك في كل الامور والاعمال فانك لو رأيت ساعة وعلى جانبها هرة فلا شك بانك لاتحكم على ان الهرة صنعتها . او لو رأيت جملاً في خان فلا ريب انك لا تحكم بانه هو الذي هندسه وبناه . وقد يعزب ادراك هذا الارتباط عن الذهن فتحصل اغلاط كثيرة عجيبة خصوصاً اذا كان بين الامرين مناسبة جزئية غير كافية كمن يرى منطاداً (بالون) وطيراً ويحكم بانه يجره لمجرد كونهما طائرين . او من يرى قتيلاً مذبوحاً وحماراً بيده قضيب فيحكم عليه بذبحه لمجرد كون القضيب قد يكون آلة للقتل . واغرب من هذا من يجعل ما ليس بسبب سبباً مثل من يسمع نعيق غراب ويرى ان جماعة من الذين مر عليهم افترقوا فيحكم بان الغراب مفرق الاحباب . فان هذا

لو اعمل فكرته وتروى قليلاً لادرك ان الغراب لا يدير دفة الاعمار ولا يتلو كتاب الآجال لعلم خطأه في حكمه ورجع عنه اذ لا رابط بين نعيق الغراب وافتراق الاحباب ولا يمكن ان يكون هو السبب في ذلك وما احلى اقوال الشاعر العربي ابو الشيص :

ما فرق الاحباب بعـــد الله الا الابل

والناس يلحون غرا ب البين لما جهلوا

ومـا على ظهر غرا ب البين تطوى الرحل

ولا اذا صاح غرا ب في الديار ارتحلوا

ومـا غراب البين ا لاَّ ناقة او جمل

وكل تطير وتفاؤل . وقولهم اليوم الفلاني نحس والساعة الفلانية سعد كله من هذا القبيل ولله در القائل :

لا يعلم المرء ليلاً ما يصبحه الا كواذب مما يخبر الفال

والفال والزجر والكهان كلهم مضللون ودون الغيب اقفال

وقال المعري في مثل هذا المعنى :

لقد بكرت في خفها وازارها لتسأل بالامر الضرير المنجما

وما عنده علم فيخبرها به ولا هو من اهل الحجا فيرجما

يقول غداً او بعده وقع ديمة يكون غياثاً ان تجورد ونسجما

ويوهم جهـال المحلة انه يظل لاسرار الغيوب مترجما

ولو سألوه بالذي فوق صدره لجاء بمين او ارم وجمجما

كأن سحاباً عمهم بضلالة فليس الى يوم القيمة منجما

وما اكثر ذلك عند جهال العوام والنساء وما اكثر ما سمعناه من ان

فلاناً قطع الشجرة الفلانية فاحترقت داره . وتصبح تلك الشجرة ولية من الاولياء مع اعتقادهم بان الله لم يتخذ ولياً من الحطب . وما وقعوا في مثل هذه الخزعبلات الا لضعف في عقولهم يمنعهم عن ادراك الاوليات البسيطة ولما رسخ في اذهانهم مما تعلموه في الصغر من العجائز او الخدم او مما قرأوه من القصص والحكايات . ولقد تسمع بعضهم يقول ان فلاناً كان ماراً بقرب الحائط الفلاني وهو سكران فتمثل له شخص اراد ان يخنقه فتاب فلا بد من ان يكون ضريح ولي او نبي في ذلك الحائط . ولو قلت له سمعت بانه وهو عَلَى تلك الحالة ذهب الى القاضي وشهد عَلَى فلان بكذا وكذا لاجابك بانها لا تقبل شهادته وهو لا يعقل عَلَى انه قد قبل هو منه شهادته عَلَى وجود النبي في الحائط

وقال لي مرة شخص اني سألت والدي وهو في النزع ما تقول في ما قال فلان في كتابه فقال كل ما فيه صدق ولذلك انا اعتقد بصدقه فقلت له ارأيت لو اوصى ابوك وهو عَلَى تلك الحالة بماله لاحد هل كنت تعترف بذلك قال لا لانه لا يعقل فقلت اذاً كيف قبلت شهادته عَلَى صدق فلان وكتابه فبهت . ومثل ذلك في الغرابة قول من يقول الانسان يسير والطير يطير فالله عَلَى كل شيء قدير ولعمري انه لصديق للدين جاهل .

وقال الامام الغزالي في مثل هذا المعنى : لو قال قائل اربعة اكثر من عشرة وانا ابرهن عَلَى ذلك باحالة هذه العصاة حية ثم فعل لكنت دهشت من حيلة العامل ولكن كنت ابقى عَلَى يقيني بان اربعة اقل من عشرة . اذ لا تعلق بين قلب العصاة حية وبين كون الاربعة اقل من العشرة فلا ينتج هذا من ذاك

١٠ — سقوط الدليل وفساده لا يوجب فساد المدلول عليه ولا يثبت

ضده مثل انه لو قال احد (القسطنطينية هي عاصمة تركيا) والدليل عَلَى ذلك كونها عَلَى شاطئ البحر . ففساد دليله وهو (كل بلدة واقعة عَلَى شاطئ البحر هي عاصمة) لايوجب فساد دعواه وهي كون القسطنطينية عاصمة تركيا. ولا يثبت ان ماردين او كيلان هي العاصمة

فلينتبه الى ذلك لان ضعف الدليل يوقظ الشك و يوقع الشبهة في قلب السامع على صحة الدعوى المبرهن عليها

مع هذا لا تنس ايضاً ان جهل السبب او الفاعل او المصدر او المرجع او الجهل بالشيء نفسه لايؤيد صحة الدعوى : اذ لا يرى اسخف ممن يقول انا عالم بالطب ودليلي عَلَى ذلك جهلك به . او من يرى حائطاً هدم و يقول لك انا دعوت عليه فهدم ودليلي عَلَى ذلك انك لاتعرف لانهدامه سبباً آخر . او من يشير عَلَى شيء بعيد و يقول هذا مصنوع من حديد وان لم تصدق فقل لي مما ذا هو مصنوع . او من يأتي بعمل غريب و يقول هذه من كراماتي وان لم تصدق فأت بمثلها . فجهلك بصنعته ومهارته لا يؤيد دعواه

وعَلَى هذا النمط كل من يدعي علم الغيب كالمشعوذين والعرافين والمنجمين وقارئي الافكار وغيرهم . فانهم اناس مهروا في خداع الحواس واتخذوها حرفة لهم ولهم فيها علائم وامور وحيل وخفة ومهارة يتسلطون بها عَلَى افكار الناس وليسوا سوى اصحاب صنعة كالحدادين والنجارين وغيرهم وجهلنا بصنعتهم لايؤيد دعواهم كما يزعمون من انهم متفقون مع علام الغيوب وانه هو الذي يلهمهم هذا العلم بواسطة الملائكة او الشياطين حسب المقاولة التي بينهم وبينه . فان صحة هذه الدعوى تتوقف عَلَى قيام الدليل عَلَى عدة امور ولا تنخدع بكراماتهم هذه الا البسطاء والمجاذيب ومن الناس من يحاول تمليل

تلك الخزعبلات بطرق فنية طويلة عريضة كثيراً ما يكون جلها تلفيقاً واستنباطاً لا اصل له مع ان السبب يحتمل ان يكون بسيطاً جداً الا انه لا يعلمه الا اهل تلك الصنعة او من اطلع عَلَى سرهم وعَلَى كل جهلنا به لا يؤيد دعواهم ·
وليس من المعقول ايضاً اسناد خاصة ما الى موجود لم تثبت له تلك الخاصة بالبراهين القطعية المقنعة لتعليل امر صدر عنه ولم يدرك سببه ·

١١ — ليس كل ممكن بواقع ؛ فانا نتصور غراباً ذا اربع ارجل ، ولا يستحيل علينا ذلك ، ولا نرى له مانعاً ، ولكننا لا نحكم بوجوده ، لانا لم نتحقق ذلك · ونرى شخصاً يشبه فلاناً العالم ، فنقول عنه ، يمكن ان يكون هذا عالماً ، ولكننا لا نحكم بعلمه ما لم نتحققه · وعَلَى مثل هذا بنى ارباب الفراسة علمهم ، ولذلك لا ينبغي الاخذ به الا من قبيل الممكن ؛ اي ظناً وتخميناً ، لا جزماً ويقيناً ·
ومن هذا القبيل ، اذا قيل ان الله قادر عَلَى ان يخلق جملاً يتكلم بالعربية وينشد الاشعار ، فلا يخولنا هذا ان نحكم بوقوع ذلك ما لم نتأكده

ومن الاوليات الطبيعية المحسوسات الظاهرة ، اذ لا يمكن ان نشك في وجود الاشياء المختلفة الواقعة تحت حواسنا مع صحة الحواس ؛ الا انه قد يتطرق عليها الغلط بعوارض واسباب كثيرة · ومنها ايضاً المشاهدات الباطنة · كعلم الانسان بجوع نفسه ، وخوفه ، وفرحه ، وسروره وجميع احواله الباطنة ·

ومما يتبع هذا النوع ايضاً (المجربات) ويعبر عنها باطراد العادات اي تلازم الاسباب والمسببات لان العقل يحتاج في تصديق ذلك الى تكرار المشاهدة والخبر المتواتر وهو خبر عن امر محسوس نقل عن قوم بلغوا في الكثرة الى حد لا يجوز العقل توافقهم عَلَى الكذب · والمخبرون ان اخبروا عن عيان

بان كانوا طبقة واحدة فقط فالامر ظاهر وان تعددت الطبقات اشترط مثل هذا الجمع في كل طبقة . وان اختل شرط من شروط التواتر كان يكون الخبر من غير محسوس او يكون عن محسوس لكن المخبرون لم يبلغوا عدد التواتر في الطبقة الاولى او بلغوها لكن انقطع في احد الطبقات التي بعدها لم يسم الخبر متواتراً

ولا سبيل الى حصر حصول اليقين في عدد معين فان قول الواحد يحرك الظن والثاني والثالث يؤكده ولا يزال تأكيده يتزايد بتزايد المخبرين الى ان يصير ضرورياً لا يمكن ان تشكك انفسنا فيه وقوة الاعتقاد تتزايد تزايداً خفياً ان تنقلب الى اليقين من حيث لا تشعر النفس

واخبار التواريخ وعلم الجغرافيا كلها من هذا القبيل

والاوليات كثيرة لا حصر لها، اخذ كل علم منها نصيبه، فيدرس قبل الخوض في ذلك العلم، وتسمى متعارفات ، اوليات ، او بديهيات ذلك العلم . وعليها يستند واليها يرجع في جميع براهينه ودلائله ؛ كما رأيت في اول كتب الهندسة وغيرها . وقد ذكرت لك هنا الاهم مما يقع في اكثر المحاورات . والمجادلات اليومية لينتبه اليها فان الاغاليط كلها انما ثارت من اهمال الجليات والتسامح فيها او الذهول عنها .

وللوهم في تغليطنا اعمال قوية ؛ وكذلك المصطلحات وما لقيناه بالارشاد والتهذيب من الصبى . وما اعتدناه بالمعاشرة والمخالطة ؛ فينبغي لمن اراد ان يميز الحق عن الباطل ان يجرد نفسه عن كل ذلك قبل النظر في الامر

المقالة الثانية

المكتسبات

الفصل الاول في التصورات

التصورات المكتسبة ، هي كما تقدم المفردات التي يحتاج في تصورها الى ايضاح وتعريف يذكر فيه احوال المعرف واوصافه الجوهرية . وهذه الاوصاف والاحوال يعبر عنها بالفاظ او اشارات تدل عليها . الا ان الالفاظ تختلف في الوضوح فان منها ما يفيد معنى مبهماً او مشتركاً او متشابهاً فيؤدي استعمالها في التعاريف والحدود الى تردد والتباس . ولهذا يجب حسن انتقائها . وكذلك من الواجب حسن الترتيب واجادة التصوير ، والا ، فالتشويش يؤدي الى تشويش وابهام . فسنذكر لك كيفية الدلالة على المعنى المقصود وانواعها لتحسن الاداء وتجيد الانتقاء ثم نذكر لك الترتيب الاحسن في اجادة التصوير وتسهيل التصور .

المبحث الاول في الدلالة على المعنى

كل لفظ او اشارة صدرت عمداً ، لا بد من انه قد قصد بها معنى ، وما اتى بها الا للدلالة عليه . وهي اما ان تدل على عين المطلوب تماماً وتنطبق عليه من كل الوجوه بدون زيادة ولا نقصان وهذه تسمى (دلالة المطابقة) كالمفردات نحو حجر ، وشجره ، وعلي ، وفرس ، ودفتر و كقولك جاء احمد وقتل الحسين

واما ان تدل الكلمة على جزء من المطلوب فقط وهي (دلالة التضمن) . نحو دار في قولك هدمت دار فلان ، وانت تريد حائطاً من حيطانها ، اوسقفها او محلاً من محلاتها . ونحو بساط في قولنا احترق البساط ، مع انه لم يحترق

سوى قسم منه . ونحو كرسي في قولنا انكسر الكرسي ، ولم ينكسر منه سوى خشبة من اخشابه ونحو جرحت اصبعي ، و كسر قلمي . وتلوث الثوب او الكتاب

واما ان يؤتى بالكلمة لتدل على ما هو من لوازم معناها الحقيقي وتوابعه او خواصه وهذه (دلالة الالتزام) نحو قولك : كلامه در ، وعلمه بحر وجوده سحاب ووجهه القمر ، عال النجاد ، و كثير الرماد ، وسرقت داره . و كل ما هو من هذا القبيل من الاستعارات والكنايات

وهذه تكثر في الكلام الشعري والخطابي للترغيب او الترهيب . نحو قولك في مدح العقل : العقل اس الفضائل ، و ينبوع الآداب . و كقولك في الشمس : بدا حاجب الشمس ، وانتعل كل شيء ظله ، ونفضت تبراً على الاصيل ، وشد رحلها للرحيل ، وقولك في مدح رجل ، غصن دوحة النسب وفرع شجرة الحسب ، وقرة ناظر الشرف ، وفرحة خاطر السلف و كقول الشاعر :

هو البحر من اي النواحي اتيته   فلجته المعروف والجود ساحله

ثم ان الدال سواء كان لفظاً او اشارة قد يدل بالمطابقة على معنى واحد وهذه تسمى (دلالة عين)

وقد يدل على اشياء ، او امور ، او افراد كثيرة لا يمنع مفهوم الدال من وقوع الاشتراك في المقصود ، فيتردد السامع في تصور عين المعنى الذي قصد ، ولهذا يتصور عنه معنى عام لافراد كثيرة . وهذه الدلالة تسمى (دلالة مطلقة) كالالفاظ المفردة التي دخل عليها حرف التعريف لاستغراق الجنس ، مثل قولك في الامثال : المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان . فانك شملت كل المصائب على اختلاف انواعها في لفظ المصيبة ، وكذا الصابر والجازع . ونحو قولك الانسان عدو لما جهل و كقول الجاحظ : الكتاب نعم الذخر والعقدة

والجليس والعمدة ، ونعم البشرة ونعم النزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأنيس ساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخيل والزميل ، ونعم الوزير والنزيل . . . وكقول الشاعر :

لقاء الاماني في ضمان القواضب (١) ونيل المعالي في ادراع السباسب (٢)

اذا ما ارتمى بالمرء ميسم (٣) ذلة فليس له الاقتعاد (٤) الغوارب (٥)

وقول الآخر :

لا يخدعنك من عدو دمعه وارحم شبابك من عدو ترحم

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

وقد يدل اللفظ عَلَى اشياء مختلفة تمام الاختلاف ، لا اشتراك بينها ابد كما في كلمة يمين ، وعين ، وخال ، وكتاب ، ورأس ، وخط ، وما اشبه ذلك وهذه (دلالة مشتركه)

او يكون بين المدلولات نوع اشتراك جزئي مثل كلمة نور فانها تستعمل في الدلالة عَلَى النور المعلوم ، والنار ، والضوء ، والعقل وهذه تسمى (دلاله متشابهة)

ثم انه قد يكون للمعنى الواحد الفاظ مختلفة ، تطلق عليه بدون تردد وتمييز ، وهذه الالفاظ تسمي (مترادفة) نحو قطن واستوطن ونحو امرأة وزوجة ، وحليلة ، وعرس ، وقرينة

وقد يكون له اسماء مختلفة باختلاف صفاته ، ويكون الفرق بينها بيناً اودقيقاً جداً بحيث قد يلتبس الامر فيها ، فينبغي الانتباه الى ذلك مثل قولنا صارم ، وسيف ، ومهند ، ومثل يمين ، وقسم ، وحلف ، وكذلك نعت ، وصفة

---

(١) القواضب = السيوف القاطعة (٢) السباسب = المفاوز والاراضي المقفرة البعيدة
(٣) ميسم = آلة الكي (٤) اقتعاد = ركوب (٥) الغارب = الكاهل

ومن الافعال لحظ، ولمح، ورمق، وشخص. وكذا صار وجرى او تبسم وضحك، وقهقه. وهذه تسمى (متباينة)

فاحرص على انتقاء اللفظ الدال على مرادك دلالة عين، مطابقة له تمام المطابقة، ولا تستعمل الجنس في الدلالة على النوع لانه اعم منه ودلالته تضمينيه ولا النوع في الدلالة على الجنس لانه اخص منه ولايدخل في نوع من انواع الدلالات فاستعماله عبث. بل ليكن اللفظ مساوياً للمعنى تماماً. مثلا ان اردت ان تدل على ذات فاذكر اسمها الخاص بها المميز لها عن غيرها مما يشابهها ويشاركها وان اردت ان تدل على وصف فعبر عنه باللفظ الموضوع له الذي لا يلقي ادنى شبهة ومشاركة ولو كان الفرق قليلاً. وان اعوزك الامر وافتقرت الى دلالة الالتزام فلتكن الاستعارة او الكناية شديدة المناسبة للغرض

واعلم ان اللفظ ان دل على شيء بعينه سمي (اسم ذات) سواء كان مفرداً او مركباً. وان دل على صفة من اوصاف الذات سمي (عرضاً) وهذا اما عام او خاص كما تقدم ومعلوم ان بعض الخواص لا تلزم دائماً في تصوير الشيء او تصوره وان كانت ملازمة له لا تنفك عنه، كما لو علمنا ان من خواص الفجل انه ينفع في المرض الفلاني واردنا ان نعرف الفجل لمن لا يعرفه ونصوره له فانا لانضطر الى ذكر هذه الخاصة. مع ذلك فقد تذكر لزيادة الايضاح تبعاً للوجهة المقصودة من التعريف وخصوصاً في الاوصاف الشعرية والادبية

لا بد من انه قد ظهر لك مما تقدم لزوم معرفة اسرار اللغة والوقوف على حقيقة كل كلمة ليتميز المتشابه من المشترك والمتباين من المترادف ويعرف الفرق بين كل كلمة وغيرها ومحل استعمال كل واحدة منها

***

المبحث الثاني

في بيان الترتيب الاحسن لاجادة التصوير وتسهيل التصور

اسيء

ذكر الحدود والتعاريف والاوصاف

كل قول عزب عَلَى السامع يحتاج الى ايضاح . وعدم الفهم ، اما ان يكون من غرابة القول الدال عَلَى المراد ، واما ان يكون السبب في ذلك غموض المدلول والتباسه عَلَى السامع . او عدم معرفته به قاطبة : فان كان الاول فيحتاج حينئذ الى بيان المعنى المقصود من ذلك القول بما هو اوضح واظهر لدى السامع وهذا يسمى (تفسيراً)

واللفظ الغريب يفسر بذكر مرادف له معروف عند السامع . واكثر كتب اللغة كالقاموس وغيره عَلَى هذا النمط . واحذر من تفسير المجهول بما هو مجهول ايضا فتكون كمن فسر الماء بعد الجهد بالماء . والالفاظ الدالة عَلَى الاوصاف او الخواص او الاحوال النفسانية تفسر بذكرها مضافة الى ما توجد فيه ، او بذكر سببها وعلتها ، او لوازمها ونتائجها . كقولك الحرافة هي طعم الفلفل والبصل وما اشبه . وفي تعريف الخوف هو انفعال النفس من ضرر خفي او وهمي ينتظر وقوعه . وقولك في تعريف الخلق هو حال به يفعل الانسان افعاله بلا روية ولا اختيار وهو في بعض الناس غريزة وطبع وفي بعضهم نتيجة ممارسة ورياضة او الفة وعادة

وان كان الثاني : فتذكر له حدوده واوصافه مقدماً فيها الاعم عَلَى الاخص والاعلى عَلَى الادنى ، بصورة جامعة لكل افراد المعرف واجزائه ومانعة لدخول ما هو ليس منه في تصوره ، مع رعاية الايجاز والاقتصار عَلَى الضروري منها

وكيفية ذلك : ان تقسم الاشياء التي يدخل في جملتها مطلوبك وتنظم سلسلة الكليات ثم تنظر في ايها انحصر المطلوب فتذكره وتذكر ما قبله جميعاً او احدها . وعلى هذا ان كان جنساً ذكرت ذلك الجنس والذي قبله وان كان نوعاً ذكرت ذلك النوع والجنس وهذا يسمى (حداً تاماً) وان تركت الجنس الذي قبله وذكرت البعيد سمي (حداً ناقصاً)

وان كان المطلوب مفرداً له اسم علم ، ذكرت نوعه والخاصة المميزة له عن غيره ، وهذا يسمى (تعريفاً)

والاساس فيها كلها يرجع الى التقسيم وترتيب سلسلة الكليات اذ ان كثيراً من الموجودات تتشابه كل المشابهة ولا يميزها عن بعضها الا من امعن النظر بغاية التدقيق . كأن ينظر اليها بالآلات المكبرة او يفحصها بطرق اخرى مستعيناً ببعض الوسائط الكيماوية او غيرها فيظهر له ما كان متوارياً عنه من الفرق الدقيق الذي بينها . ولذلك ترى ما كان نوعاً صار جنساً وما كان داخلاً في نوع من الانواع انفصل عنه وصار نوعاً مستقلاً كل ذلك بترقي العلوم والمعارف وتوفر الوسائط وتكملها . فينبغي الاحتراس من الخطأ في ترتيب السلسلة عند تعداد الاجزاء وتصفيفها وهذا يكون من جهة الجمع والمنع بسبب الالتباسات التي تحدث من قبل المشابهة الخارجية مع المباينة الداخلية او المشابهة بالنظر السطحي مع المباينة عند التدقيق

ولكي تسلم من الخطأ في الجمع والمنع ينبغي ان تقسم كل جنس الى نوعين لا اكثر ، بحيث يتصف نوع بصفة لا يتصف بها النوع الآخر . وعلى هذا النمط رتب السلسلة

مثال ذلك : لو اردت ان تعرف الانسان فرتب سلسلة كلياته كما ترى



ترى هنا ان مطلوبك واقع في الناطق فتقول في حده حيوان ناطق

وكذلك لو اردت ان تعرف الآجر فترتب السلسلة كما يأتي :

الحجر

صناعي — غير صناعي

من تراب — من غيره

مشوي — غير مشوي

منشوري الشكل — غيره

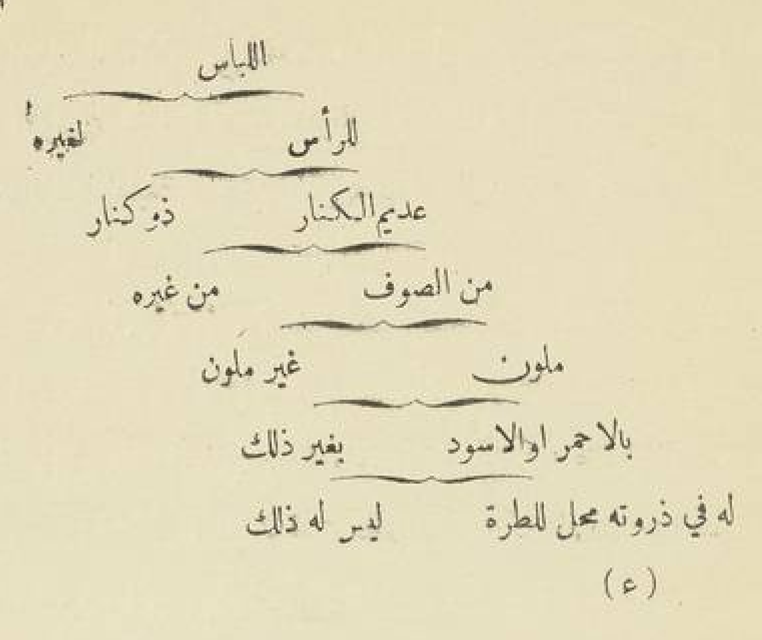
مخصوص لبناء الحيطان واشباهها — مخصوص لغيرها

(ﺣ)

وحيث ان مطلوبك داخل في الثمرة (ﺣ) فتقول في حده :

الآجر حجر صناعي ، من تراب ، مشوي ، منشوري الشكل ، مخصوص لبناء الحيطان واشباهها

وكذلك لو اردت ان تعرف الطربوش فتقسم السلسلة على هذا النمط :



ومطلوبك واقع في الثمرة (ع) . فتقول في تعريفه :

الطربوش لباس للرأس عديم الكنار من الصوف ملون بالاحمر اوالاسود له في ذروته محل للطرة

ولا يخلو من الفائدة ان اذكرلك ماقاله الامام الغزالي في هذا الموضوع:

قال — : ان ماوقع السؤال عن ماهيته، واردت ان تحده حداً حقيقياً، فعليك فيه وظائف، لايكون الحد حقيقياً الابها، فان تركتها سميناه رسمياً او لفظيا وخرج عن كونه معرباً عن حقيقة الشيء ومصوراً كنه معناه في نفس السائل

الاولى — ان تجمع اجزاء الحد من الجنس والفصول، فاذا قيل لك مشيراً الى ماينبت من الارض، ماهو؟ فلا بد وان تقول جسم ولكن لو اقتصرت عليه بطل عليك بالحجر، فتحتاج الى الزيادة، فتقول نام فتحترز عن ما لا ينمو، فهذا الاحتراز يسمى فصلاً اذ فصلت به المحدود عن غيره

الثانية — ان تذكر جميع ذاتياته وان كان الفاً، ولا تبالي بالتطويل

ولكن ينبغي ان نقدم الاعم علَى الاخص، فلا نقول نام جسم، بل بالعكس، وهذا لو تركه تشوش النظم، ولم تخرج الحقيقة عن كونها مذكورة، مع اضطراب اللفظ، والانكار عليك في ذلك، اقل مما في الاول، وهو ان تقتصر علَى الجسم

والثالثة — انك اذا وجدت الجنس القريب، فاياك ان تذكر البعيد معه فيكون مكرراً، كما تقول مائع شراب، او تقتصر علَى البعيد فتكون مبعداً، كما اذا قيل ما الخمر؟ فلا تقل جسم مسكر مأخوذ من العنب، واذا ذكرت هذا، فقد ذكرت ماهو ذاتي ومطرد ومنعكس، ولكنه مختل، قاصر عن تصوير كنه حقيقة الخمر، بل لو قلت مائع مسكر، كان اقرب من الجسم، وهو ايضاً ضعيف! بل ينبغي ان تقول شراب مسكر، فانه الاقرب الاخص، ولا تجد بعده جنساً اخص منه. فاذا ذكرت الجنس، فاطلب بعده الفصل، اذ الشراب يتناول سائر الاشربة، واجتهد ان تفصل بالذاتيات الا اذا عسر عليك، وهو كذلك في اكثر الحدود، فاعدل بعد ذكر الجنس الى ذكر اللوازم، واجتهد ان يكون ماذكرت، من اللوازم الظاهرة المعروفة، فان الخفي لايعرف به، كما اذا قيل: ما الاسد؟ قلت، سبع ابخر، يتميز بالبخر عن الكلاب، فان البخر من خواصه ولكنه من الخواص الخفية، ولو قلت شجاع عريض الاعالي لكانت هذه اللوازم والاعراض، اقرب الى الفهم، لانها اجلى، واكثر مايرى في الكتب من الحدود، رسمية، اذ الحقيقة عزيزة، ورعاية الترتيب، حتى لايبتدأ بالاخص قبل الاعم عسير، وطلب الجنس الاقرب عسير، فانك ربما تقول في الاسد انه حيوان شجاع، ولا يحضرك لفظ السبع، فتجتمع انواع من العسر، واحسن الرسميات ماوضع فيها الجنس الاقرب واتم بالخواص المشهورة المعروفة

والرابعة — ان تحترز عن الالفاظ الغريبة الوحشية ، والمجازية البعيدة، والمشتركة المرددة ، واجتهد في الايجاز ماقدرت ، وفي طلب اللفظ النص ما امكنك ، فان اعوزك النص ، وافتقرت الى الاستعارة ، فاطلب من الاستعارات ماهو اشد مناسبة للغرض ، واذكر مرادك به للسائل ، فما كل امر معقول ، له عبارة صريحة موضوعة ، ولو طول مطول ، اواستعار مستعير، او اتى بلفظ مشترك ، وعرف مراده بالتصريح ، او عرف بالقرينـة ، فلا ينبغي ان يستعظم صنيعه ، و يبالغ في ذمه ان كان قد كشف الحقيقة بذكر جميع الذاتيات ، فانه المقصود ، وهذه المزايا ، تحسينـات وترتيبات كالابازير من المقصود ، وانما المتجادلون ، يستعظمون مثل ذلك ، و يستنكرونه غاية الاستنكار ، لميل طباعهم القـاصرة عن المقصود الاصلي الى التوابع . . . واللفظ غير مراد بعينه في الحد الحقيقي الا عند المترسم ، الذى يحوم حول العبارات ، فيكون اعتراضه عليها وشغفه بها . اه

ويلحق في هذا البحث (الوصف) وهو رسم المطلوب في مخيلة السامع ، بذكر ما يكفي من عرضياته من الاوصاف والخواص

وقد يكون هذا مزينا منمقا تذكر فيه صفات كثيرة للموصوف ، وخصائصه ، وتأثيراته ، التي انفرد بها ، لتنجلي حقيقته وتزيد وضوحا ، مع مراعاة مقتضيات البلاغة والادب في ذلك . وهذا يسمى بالوصف الادبي ، او الشعري ، او التاريخي ويقتصر فيه علَى ذكر ماناسب الوجه التي تقصد ، اذ قد يوصف الشخص او المكان او الوقت او غيرذلك من وجوه مختلفة مثل ان يقصد من ذلك بيان محاسنه والترغيب فيها او مساويه والتنفير منهـا . والبلدة توصف من جهة صناعها ، او ادبائها ، او مبانيها ، اوموقعها الطبيعي والجغرافي ، اوموقعها العسكري

واهميته الحربيـة ، او من جهة مايكثر فيهـا من الامور الحسنـة او السيئة والاحوال المقبولة او المنفورة وغير ذلك · فيختـار الكاتب ماشاء ذوقه من الاوصاف ويتصرف بها في ايضـاح غرضه، مبينـاً احواله ونعوته الممثلة له حتى يكاد يراه السامع عياناً

وشرط الوصف ان يكون جامعاً مانعاً ، ذا رونق وطلاوة ، وان لايخرج فيه الى حد المبالغة والتطويل، ويكتفي بما ناسب الوجهة المقصودة· والاحسن في ذلك ، ان تبتدئ بوصفك الموضوع بنظر عام، ثم تأخذ في تفصيل الافراد فرداً فرداً ، عَلَى حسب تتابع ورودها ، او مقدماً فيها الاهم بالنظر لما تقصده عَلَى غيره · وما انت في ذلك الا كرسام يصور بالالوان والفرشاة ، او كمن يعرض المناظر المختلفة بالسينماتوغراف · ولهذا يجب عليك اولا ان تعرف ماتريد وصفه حق المعرفة وتدرسه بتدقيق وامعان حتى لا يغيب عنك ادق شيء من احواله وتنتبه الى كيفية وضعها وترتيبها ثم اعر روحك كل الانتباه ، لتسمع ما توحيه اليك من التأثرات والمعـاني ،فتكسوها حلة تناسبها من الالفاظ وتجليها عَلَى السامع منظمة منسقة ، مرتبطة بعضها البعض ، بحسب المناسبة التي احسست بتأثيرها فيك ، منتقلاً من المؤثر الضعيف الى القوي ، فالاقوى بحيث تمثل له الموصوف ، حتى لا يشك انه يراه رأي العين · وينبغي ان تنتبه الى ان لاتحيد عن الوجهة التي تقصدها من الوصف · ولتكن هذه الوجهة هدفك الاصلي ، في الاوصاف التي تستعملها · فانك لو اردت وصف حديقة مثلا ، فاما ان تقصد بيان محاسن الطبيعة وجمال نقوشها واتقان صنعها ، او تقصد تشريح التأثرات التي تحدث فيك مما تشاهده ، واحداث نظيرهـا في روح السامع · او غير ذلك ولا تنس ان البلاغة في الاقتصاد

وللوصف انواع كثيرة ، كوصف بلدة ، او واقعة حرب ، او منظر من مناظر الطبيعة ، كروضة ، او طلوع ، او غروب ، او عاصفة او غير ذلك . وكوصف حيوان في خلقه ، وطباعه ، واخلاقه ؛ او شخص ، في خلقه او خلقه ، او كليهما . وكترجمة تاريخية لرجل عظيم يذكر فيها خلقه وخلقه ونشأته وتواليفه ، وما بث فيها من الافكار ، والآراء ، ومشربه ، وطريقته ، ودرجة الانتفاع بتلك الآثار او الاعمال او الاختراعات وما نتج عنها من التأثير الحسن او السيء في الافكار والمشارب ، او العمران او الصناعات ، وخلاصة ما قيل فيها وفيه من اجلها وآخر ايامه ووفاته . وغير ذلك

الفصل الثاني

في التصديقات المكتسبة

لقد سبق القول على ان الاوليات احكام مسلمة لا يشك احد في صحتها ولا يتردد في تصديقها . وعلى هذا كانت ولا ريب صالحة لان تكون مقياساً لنا في الاحكام والتصديقات المطلوبة ؛ فما وجدناه قد انطبق عليها تمام الانطباق قبلناه ، وما زاد او نقص رفضناه ؛ وهذا العمل هو المقايسة او القياس . وبيان ذلك ، ان الحكم المطلوب استخراجه هو داخل في الاحكام الاخر المسلمة . وانما القصد ، مجرد اظهاره وابرازه ، وبيان انه متحد مع الاحكام الداخل فيها ، التي هو عينها في المعنى وان اختلف اللفظ . ولا يمكن استنتاج حكم من آخر مالم يكن داخلا فيه ومن محتوياته وافراده . فاذا اردت ان تقيم الدليل على حكم . تأتي اولا بحكم اولي مسلم عند السامع يتضمن ما اردت استنتاجه ، ثم تأتي بعده بحكم آخر ليدل على ان النتيجة داخلة فيه ، فتحكم حينئذ بصدق

النتيجة وذلك قياس عَلَى هذا الحكم الاولي وهو : ان المستلزم لمستلزم شيء آخر هو مستلزم لذلك الشيء الآخر ايضاً او ما في معناه كقولك ما يستلزم نفي شيء عن آخر يستلزم ايضاً نفي ما هو خاص بذلك الشيء عن الآخر . او قولك ما يتضمن شيئاً يتضمن آخر فهو يتضمن ذلك الآخر

وقد يتسلسل الامر معك ، فتأتي بالحكم الاولي ثم تأتي بعده بعدة احكام كل واحد من شأنه ان يدل عَلَى ان الذي بعده داخل في الذي قبله ، وهكذا الى ان تصل الى النتيجة

وفي الاحكام السلبية تأتي بالحكم الاولي ثم تأتي بعده بحكم او عدة احكام لتدل على ان المحكوم عليه من النتيجة ، غير داخل في مضمون المحكوم عليه من الحكم الاولي . وعلى هذا النمط تفعل في جميع اقيستك وبراهينك . وان كنت سائلاً فما كان كذلك او صح ارجاعه الى هذه الصورة قبلته والا رددته ورفضته . امثلة عَلَى ذلك :

الانسان يمشي	الحكم المراد اثباته
الانسان حيوان	حكم اولي (ويسمى بالقضية الصغرى)
والحيوان يمشي	حكم مسلم عند السامع اتى به يدل عَلَى ان النتيجة داخلة في الاول (ويسمى بالقضية الكبرى)
فالانسان يمشي	النتيجة
قولك غير حق	الحكم المراد اثباته
ان كان قولك حقاً وجب ان يطابق الواقع	حكم اولي
وقد وجدناه غير مطابق للواقع	حكم مسلم عند السامع اتى به ليدل عَلَى ان النتيجة داخلة في الاول

اذاً قولك غير حق　　　　　　　النتيجة

وقد يصرف النظر عن ذكر الكبرى اما لظهورها او للاختصار · مثال :

محاورة بين شرطي ومتهم

الشرطي — اتبعني

م — وكيف اتبعك

ش — لاني آمرك باسم الحكومة

واصل ذلك :

ان امري امر الحكومة * وامر الحكومة مطاع * فأمري مطاع واني آمرك ان تتبعني فأطع واتبعني

ولنا في التصديقات طريقان آخران وهما (الاستقراء) و(الاستنتاج) وذلك انك اذا وجدت صفة او خاصة ما ، في مواد كثيرة من نوع واحد ولم تجد بعد التفتيش المدقق مادة من ذلك النوع خالية عنها ؛ حصل لك من ذلك التصديق بان تلك الخاصة هي عامة لتلك المواد · وهذا هو (الاستقراء)

ولما كان هذا مبنياً عَلَى المشابهة بين المواد ليحكم عليها بحكم عام فقد يلتبس الامر ، ويدخل الخطأ · مثل ان تكون المشابهة غير تامة ولا ينتبه اليها لدقة الفرق وخفاء السبب اولنقص اوخطأ في التعليل واما اذا كانت تامة ، والسبب واحداً فلا بد من ان تكون النتائج واحدة · وان اختلفت نفهم ان هنالك امراً آخر ، وعارضاً مانعاً بحيث لو زال ، زال الاختلاف

واما الاستنتاج ويسمى بالاستدلال ايضاً ، فهو عَلَى عكس الاستقراء ، اي انك اذا عرفت حكماً عاماً فتحكم به عَلَى شيء تيقنت انه من افراده · واذا عرفت ناموساً طبيعياً فتستدل به عَلَى مالا بد من حدوثه بسبب ذلك الناموس ·

فالاستنتاج هو نتيجة الاستقراء اذ بالاستقراء نحكم بالقاعدة العامة ، ونهتدي الى الناموس الطبيعي ، وبالاستنتاج نحكم عَلَى الافراد

الخاتمة

كثيراً ما تحدث اغلاط في المباحثات ، والمجادلات لعدم الانتباه . وقد نوهنا عَلَى اكثر انواعها فيما سبق . كالانتقال من المعلوم الى المجهول وكاقامة البرهان عَلَى شيء بقضية تتوقف صحتها على صحة الاولى ، او تعريف الشيء بشيء آخر لو وقع السؤال عنه عرف بالاول وهذا يسمى (بالدور) . و كقياس المادي عَلَى غير المادي او بالعكس . و كالانتقال مما هو صادق من بعض الوجوه الى ماهو صادق من جميع الوجوه و كاستخراج امر كلي من عدة امور جزئية وهو (الاستقراء الناقص) . وكجعل ماليس بسبب سبباً ، اوفرض صحة ماهوفاسد . وكالاجابة عن المجهول بما هو مجهول ايضاً او تعريف الشيء بمترادفاته وهو (المصادرة) . و كالاجابة بما ليس له تعلق بالسؤال وهو (المشاغبة) . و كثيراً مايستعمل هذا النوع من المغالطة بعض الخطباء الوقحين املاً باستمالة السامعين اليهم وذلك بذكر ماهومسلم بديهي ومؤثر عَلَى العواطف والاحساسات الدينية او الملية او غير ذلك لينال استحساناً وكيما ينس السامع الموضوع الاصلي حتى يظن ان الخصم كان ينكر ذلك فينقلب ضده وقد تجد امثلة كثيرة عَلَى ذلك في خطابات رجال السياسة من الاحزاب المتخالفة عَلَى ان هذه الطريقة وان كانت معيوبة جداً فان السياسة تجوز الكذب قصد الحصول عَلَى النتيجة المطلوبة

ومن المغالطات البسيطة مايقع باستعمال الدلالات المشتركة والمتشابهة او المبهة المطلقة كقول القائل ، العين قد يدب فيها الناس ، وهذه عين

(مشيراً الى عين ماء) ، فاذاً هذه العين قد يدب فيها النعاس . وقوله : النور يلمع و يضيء في الظلمة ، والعقل نور ، فالعقل يلمع و يضيء في الظلمة . وقوله : بعض الناس علماء و بعض الناس اغنياء ، فبعض العلماء اغنياء . والغلط في المثالين الاولين ظاهر ، وفي الثالث هو احتمال كون البعض الاول غير البعض الثاني ومتى طرأ عَلَى الدليل الاحتمال بطل به الاستدلال

كما قال الشاعر :

وقــد يفسد الفكر في حالته فيوهمك الدر قطر السرا

ومتى تمكن فيما ذكرناه في الاوليات وانتبــه فــي تطبيق الاقيسة عَلَى ما ذكرناه من القواعــد امن الغلط ، واليك مثال اظهر من هذا وهو : بعض الاحجار ابيض ، و بعض الاحجار اسود . فانه لايمكن ان ينتج عنه ان بعض الابيض اسود . وانمــا تدخل الاغلاط وتنطلي عَلَى الانسان في الاغلب اذا تداخلت الاقيسة وتسلسلت او اذا تعب فكره وضعف انتباهه

ولقد ادخل اكثر المؤلفين ، الجدول ، والخطابة ، والشعر ، بل والمغالطة في المنطق . الا انها لمــا كانت لاتفيد اليقين . وكانت صناعات خاصة عَلَى حدتها ضربت عنها صفحاً في هذه الرسالة

تمت في ٤ محرم سنة ١٣٢٥ وفي ١٧ شباط افرنجي سنة ١٩٠٧

دمشق الشام : محمد سليم الجزائري الحسني

KITAB MIZAN AL-HAQQ FI AL-MANTIQ

***

JAZA'IRI